

أكذوبة الكلاب المضاللة

لست أدري بالضبط :

من الذى أطلق على هذه

الكلاب المتى تتجول فى المشوارع

وليس لها أصحاب :

أنها كلاب ضاللة ؟!

[]

لقد تبين لى خطأ هذه المقولة تماماً

وذلك عندما انتقلت للسكن

فى شقة بالدور الأول

بأحد الأحياء الشعبية

ولأننى أحب المسهر بالليل

فقد كنت أجلس فى المبلكونة

وأتابع ما يجرى من طرائف وأحداث

عمال عائدون منهكون من عملهم

وصبية يلعبون الكرة المشراب

على ضوء لمبة شديدة الخفوت

وخناقات تثور لأدنى سبب

ثم ما تلبث أن تهدأ، ويتصافى مشعلوها

وكان من بين ما ألاحظه :

تللك المجموعة من الكلاب

اللى تتجمع فى ساعة محددة من كل ليلة

حول كومة من المقمامة

وتروح تقلبها بكل عناية

بحثا عما يمكن أن يوجد فيها من طعام

وبالطبع كان يثور بينها اشتباكات

عنيفة جدا حول عظمة ..

أو كيس بلاستيك مربوط

ولم تكن تنتهى إلا حينما يتنازل الكلب الأضعف

للكلب الأقوى ويتحول للبحث عن شئ آخر

وأحيانا ينتظر حتى ينتهى من طعامه

فيأخذ العظمة بحذر ويلتهم ما تبقى منها

وفى بعض الأحيان كان الكلب الأقوى

يتنازل بكل رضا ومودة

لكلب صغير يبدو أنه أحد أبنائه !

* □ *

أما المعركة الكبرى

فلم تكن تشور

إلما فى لحظة التزاوج

وهنا يحاول كل واحد من ذكور الجماعة

أن يفوز بالأنثى المرغوبة

ومن الغريب أن هذه رغم ضآلة جسمها

هى التى تقرر اختيار من تتزاوج معه

وعندما يحدث ذلك

ينسحب المباحون متقبلين المهزيمة !

* [] *

ظللت لفترة طويلة

وأنا ألاحظ هذه الجماعة المتجولة من الكلاب

ومع مرور الوقت

صرت أعرف موعدها مجيئها وانصرافها

ومستويات تسلسلها فى القيادة

فالكلب الأسود الكبير هو الذى يرأسها

والجميع يتبعونه فى خضوع كامل

لكن هناك كلبين آخرين يتطلعان لمنافسته

الأبيض المنقط ، والكلب البرتقالى

ومع ذلك فإنهما ينسحيان عند أدنى زمجرة منه

وينتظران انتهاءه من طعامه

ثم يبدأن فى المتهام ما يتركه لهما

أما الزوجات فهن متبوعات دائما بصغارهن

يتشاركن معهم فى الطعام

وكثيرا ما يتنازلن عنه تحت إلحاحهم

* [] *

الأمر العجيب

أنه على الرغم من تناول هذه الكلاب لطعامهم

من القمامة الملوثة

إلما أن صحتها العامة جيدة جدا

فهى قوية المبنية

مفتولة العضلات

وعندما تنبح بأصواتها المجلجلة

فإن أحد من أهل الشارع لا يستطيع إسكاتها

أو حتى طردها من موضعها!

[]

كذلك لا يخلو الأمر

من أن يأتى كلب غريب من حى آخر

ويحاول أن يتناول شيئاً من طعام الجماعة

وعندئذ يهب الذكور بالتصدى له بكل شراسة

فينهشون جسده

ويمزقون شعره

ويستطونه على الأرض

ولما يتركونه إلما بعد أن يعترف بالندم

ويصدر عواء لا يشبه أبدا نباح الكلاب

[]

تلك هي بعض ملاحظاتي على تلك الجماعة

المتماسكة من الكلاب

والتي يحكمها قانون صارم

وتقاليد حيوانية مرعية بدقة

وهي بعد أن تتناول وجبتها المسائية

من كومة القمامة

تنصرف مختفية في الشوارع الجانبية

لكنها تعود فى موعدها بالضبط

من مساء اليوم التالى

ومن المؤكد أنها تتواصل فيما بينها

بأصوات وإشارات خاصة

كما أن التماسك بينها

يجعل منها وحدة يصعب اختراقها..

فهل يصح بعد هذا كله

أن نطلق عليها :

كلاب ضاللة ؟ !
